Journal of Arabian Peninsula Centre
for Educational and Humanity Researches
Volume (1), Issue (10): 30 Sep: 2021
p: 123- 139
Copyright License
ISSN: 2707-742X

مجلة مركـــز جــــزيرة العـــــرب
للبحوث التـربـوية والإنسانية
المجلد (1)، العدد (10): 30 سبتمبر 2021م
ص: 123- 139
تاريخ الاستلام: 2021/07/25 القبول: 2021/09/10

صورة الآخر في كتاب "البخلاء" للجاحظ

د. عوض أحمد حسن العلقمي
أستاذ الأدب العربي المشارك|| قسم اللغة العربية
||كلية التربية|| جامعة عدن|| اليمن
Emil: wzaaall782@gmail.com || Tel: **00967773076555**

الملخص:
إن هدف الجاحظ المضمر في كتابه "البخلاء" هو الإشادة بكرم العرب وجودهم والانتقاص من ظاهرة البخل والبخلاء الفرس، وهي فئة أخذت تؤثر في المجتمع العباسي بعاداتها وتقاليدها التي لم يألفها العربي وغدت خطراً على أخلاقياته؛ فعمد الجاحظ إلى تعرية هؤلاء البخلاء من مصداقيتهم في توجهاتهم ومعتقداتهم، بأسلوب قصصي فكاهي، واستطاع من خلال تصوير شخصياته – الحقيقية الواقعية – الكشف عن كثير من طبائع البخلاء وخفايا نفسياتهم المضطربة، وقد اتسم تصويره بالمصداقية والواقعية والمنطق، كذلك أبرز –بفنيته المعهودة –الجوانب الفكرية لمعتقدات الآخر في ظاهرة البخل، ومنهجية البخيل في البخل وإيمانه المترسّخ في نفسيته، كما استحضر الخلاف الذي ينشأ أحيانًا بين القوميات المختلفة في المجتمع العباسي بطريقة فنية لا تشي بنزعة عنصرية لديه، كالحوار الذي أجراه في قصة أبي سعيد المدائني والثقفي. والجاحظ في كثير من قصصه يرسم للقارئ صورة واضحة لفئة فارسية منتشرة في مجتمعه، تُمثِّل طبقة واسعة في المجتمع العباسي، هيأت لها الحياة السياسية فرصة ممارسة ثقافاتها وعاداتها وتقاليدها القومية ما جعلها صورة مصغرة للأمة الفارسية في موطنها. ومن هذا المنطلق يمكن أن يُصنَّف كتاب "البخلاء" للجاحظ مادة للأدب المقارن ضمن أحد فروعه المسمى بعلم دراسة صورة الآخر ويختص هذا الفرع بدراسة صورة أمة ما في أدب أمة أخرى أو في مؤلفات كاتب من كُتَّاب أمة أخرى.

الكلمات المفتاحية: صورة الآخر، البخلاء، البخل، الفرس، الجاحظ.

The image of the other in the book "The Miser" by Al-Jahiz

Awadh Ahmed Hasan Al-alqami
Associate Professor of Arabic Literature || the department of Arabic language||Faculty of Education|| University of Aden || To whom
Emil: wzaaall782@gmail.com || Tel: **00967773076555**

Abstract: Perhaps the implicit goal of Al-Jahiz in his book Al-Bukhla (misers)is to praise the generosity of the Arabs in their presence and to detract from the phenomenon of miserliness and misersin the Perans, it is a group that took to influence the Abbasid society with its customs and traditions that the Arabi was unfamiliar with and became a danger to his morals, Al-Jahiz deliberated to strip these misers of their credibility in their orientations and beliefs, In a humorous narrative style, he was able, through portraying his real, realistic characters, to reveal many of the natures of misers and the secrets of their troubled psyches, his portrayal was characterized by credibility, realism and logic, he also highlighted- with his usual technique- the intellectual aspects of the other's beliefs in the phenomenon of miserliness, and the miser's methodology in miserliness and

his faith rooted in his psyche, he also invoked the dispute that sometimes arises between the different nationalities in the Abbasid society in an artistic way that does not tattle the racist tendencies through the dialogue he conducted in the story of Abu Saeed Al-Madaini and Al-Thaqafi, for example. In many of his stories, Al-Jahiz paints for the reader a clear picture of a widespread Persian group in his society, representing a wide class in the Abbasid society, political life provided it with an opportunity to practice its national cultures, customs and traditions, which made it a mini picture of the Persian nation in its homeland. From this point of view, Al-Jahiz's book (Al-Bukhla') can be classified as a subject of comparative literature within one of its branches called the science of studying the image of the other (Photology), this branch is concerned with studying the image of a nation in the literature of another nation or in the writings of a writer from the writers of another nation.

key words: the image of the other, Al-Bukhla (misers), miserliness, Persians, Al-Jahiz

المقدمة.

مثل العصر العباسي نقلة نوعية في تاريخ العرب بعد الإسلام؛ إذ انفتحت الخلافة العباسية على الأمم المجاورة، فأثرت وتأثرت بتلك الأمم، فساد التلاقح الثقافي وتكاملت الحضارات، وبرز العلم وجمهور العلماء، تعددت اللغات وانتشرت الترجمات فكثرت المؤلفات، منها كتاب "البخلاء" الذي يعدُّ إرثًا عربيًّا مهمًا صور امتزاج الثقافات؛ إذ جمع فيه الجاحظ قصصًا عن البخل والبخلاء من أهل مرو وخراسان، وبعض بخلاء العرب بأسلوب قصصي فكاهي، ترصّد فيه نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء، وهو في ذلك كله يكشف عن كثير من طبائع البخلاء وخفايا نفسياتهم، وقد افتتحه بأهل مرو وخراسان من الفرس في البصرة وبغداد، الذين يحتجون للبخل وينصرونه على الكرم، بطريقة منهجية.

مشكلة الدراسة:

يسعى الباحث في دراسته هذه (صورة الآخر في كتاب "البخلاء" للجاحظ) إلى الإجابة على الأسئلة الآتية: ما مدى صلة الكاتب (الجاحظ) ببخلاء الفرس؟ وكيف جاءت صورتهم؟ وما مدى مصداقية الصورة وواقعيتها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة أنها اتجهت إلى دراسة صورة البخلاء وعلى وجه الخصوص الفرس التي رسمها الجاحظ في كتابه "البخلاء"، وإلى إبراز مفهوم الجاحظ للبخل وصورة البخلاء الفرس بوصفهم فئة تمثل أمّة تعيش في أمّة (العرب) قوامها الكرم، وهي (دراسة صورة أُمَّة في أدب أمَّة أخرى أو في كتب مؤلِّف من أمَّة أخرى). (غنيمي: 1983 ، ص 41).

الدراسات السابقة:

هناك دراسات تناولت صورة الآخر منها:

1. **(صورة الفرس في كتاب "البخلاء" للجاحظ)**، للدكتورة ماجدة حمود، منتديات ستار تايمز 14 مايو 2012م، وقد عمدت الدراسة إلى إحداث توازن في الرؤية بين الناحية الفكرية والجمالية، الأمر الذي جعلها تتناول نموذجًا من الماضي لتقديم فهم للحاضر يقوم على أسس قويمة للعلاقات العربية الإيرانية، فهي ترى أنّ الجاحظ قدّم لنا صورة الفرس كما قدّم لنا صورة العرب، إذ لم يرَ الآخر الذي يشاركه الدّين ويصنع معه الحضارة نقيضًا له، بل مسهمًا معه في إغنائها، فبدا مدافعًا عن الفرس ضد المتعصبين العرب، كما دافع عن العرب ضد المتعصبين الفرس. وفي هذه الدراسة (صورة الفرس في كتاب "البخلاء" للجاحظ) سيطرت على الكاتبة فكرة التوافق بين الأنا – الجاحظ – الذي يمثل الأمة العربية، والآخر ويمثل الأمة الفارسية، ونبْذ فكرة العنصرية تجاه الآخر؛ مما دفعها

إلى إيجاد تعليلات وتفسيرات للصور الأخلاقية التي رسمها الجاحظ للآخر بحيث تنسجم وهذه الفكرة، وسعت مدافعة إلى إبراز أخلاقيات الآخر (الفرس) وثقافتهم وبلاغتهم المتأثرة ببلاغة العرب لتوجد هذا التوافق، وإمكانية التعايش في ظل الثقافة الإسلامية بين الأمتين، وجعلت من البخل صفة عامة أنتجها التحضر والمدنية، والبعد عن الصحراء والبداوة.

وقد أفاد الباحث من هذه الدراسة النظر بحيادية وواقعية إلى صورة البخلاء الفرس التي رسمها الجاحظ، غير أنّه – الباحث – وجَّه اهتمام الدراسة إلى إبراز مفهوم الجاحظ للبخل وصورة البخلاء الفرس بوصفهم فئة تمثل أمّة تعيش في أمّة (العرب) قوامها الكرم على النقيض منها في صفة البخل، من خلال تتبع أفكارهم ومعتقداتهم وسبلهم في وضع البراهين والحجج والعلل لدعم منطقهم في البخل.

2. **(صورة الآخر الإسرائيلي في رواية "المتشائل" لإميل حبيبي)**، مسعود شكري وآخرون، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)، السنة السابعة، العدد السادس والعشرون، حزيران، 2017م ورواية "المتشائل" محاولة لتصوير الصراع الدائر في الأراضي المحتلة بين الإسرائيليين والفلسطينيين، كما تهتم الرواية بالشخصيات الإسرائيلية (الآخر) بوصفها أحد جانبي الصراع والعنصر الذي يحتل موطن الفلسطيني (الأنا) ويمارس العنف والقهر ضده. ويحاول هذا المقال دراسة صورة الآخر الإسرائيلي اليهودي في رواية "المتشائل" بوصفها رواية من روايات الأدب الفلسطيني المقاوم، وقد تتبع الكاتب في دراسته هذه خطوط الصورة التي رسمها القاص (إميل حبيبي) في روايته القائمة على الصراع الأنا (الفلسطيني) صاحب الأرض والهوية والمقاوم، والآخر (الإسرائيلي) مغتصب الأرض ولا هوية له، وذلك بإبراز الصفات الشخصية والنفسية التي رسمها القاص للآخر، وتتبع مفردات اللغة التي حاكها والحوارات التي أجراها بين الأنا والآخر.

وقد أفاد الباحث من دراسة شكري في رسم بعض علامات الجانب التطبيقي، مع الاختلاف في دراسة النص السردي المدروس.

منهجية الدراسة:

عمدت الدراسة إلى الاستعانة بالمنهج الوصفي، الذي يقوم بدراسة الظواهر العلمية بالوصف بطريقة علمية للوصول إلى تفسيرات منطقية.

خطة الدراسة:

وقد جاءت الدراسة على وفق الخطوات الآتية:

- **المقدمة**: وتضمنت ما سبق عرضه.
- **التمهيد**: أوجز فيه الباحث عن علم صورة الآخر في الآداب القومية. وتبع التمهيد ثلاثة مطالب:
- **المبحث الأول**: تناول صورة موجزة عن حياة الجاحظ وصلته ببخلاء الفرس ومصدر معلوماته،
- **المبحث الثاني**: وفيه تناول الباحث صورة البخلاء من الفرس في الكتاب،
- **المبحث الثالث**: وقد تبلور في بيان مدى مصداقية الصورة التي رسمها الجاحظ.
- **خاتمة الدراسة**: وتضمنت أهم ما توصّل إليه الباحث من نتائج، مذيلة بقائمة المصادر والمراجع.

تمهيد- صورة الآخر في الآداب القومية.

قبل الشروع في (البخلاء) نوجز عن ماهية هذا العلم. أو كما هي عند غنيمي هلال تصوير الآداب القومية للبلاد والشعوب الأخرى: "أحدثُ ميدان من ميادين البحث في الأدب المقارن" (هلال: 1983، ص419)، وقد لقي هذا النوع من الدراسات المقارنة رواجا في فرنسا (هلال: 1983، ص101). ترجع بداياته إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر على يد الأديبة الفرنسية(مدام دي ستال)، إثرَ زيارة لها إلى ألمانيا، رأت فيها صورة مغايرة لما في أذهان الفرنسيين عن الألمان، فهم شعب متحضر له إنجازات أدبية وثقافية تستحق الذكر، فما كان منها إلا أنْ ألَّفت كتاباً أسمته (في ألمانيا)، رسمت فيه صورة مثالية للبلد وشعبه، فكان الكتاب بداية لما أصبح يُعرَف فيما بعد بدراسة صورة الآخر في الأدب القومي، ومن الدارسين مَن يرى أنّ هذه الصورة التي رسمتها (مدام دي ستال) قاصرة؛ لأنَّها لم ترَ من ألمانيا سوى رجال الأدب من المجتمعات الأرستقراطية في منطقة بعينها، وغير رجال السياسة وبعض الفلاسفة في برلين(هلال: 1983، ص420، 421)، ومع مثالية الصورة التي رسمتها الأديبة الفرنسية "فقد ظلت ذات أثر بالغ في معاصريها ومَن جاء بعدهم من أدباء النصف الأول من القرن التاسع عشر" (هلال: 1983، ص420).

والصورة في سياق دراسات الأدب المقارن تتخذ شكلاً جديداً ومعنى مغايراً (الحربي: 1441، ص159)؛ لتلك "الصورة الشعرية أو الأدبية بوصفها نتاج الخيال الخلاق" (هلال: (د. ت)، ص49)، ففيها يعمد الأديب إلى "صنع صورة عامة من المعتقدات والأفكار والسلوك لهذا الآخر المخالف" (الحربي: 1441، ص163).

ومن استقراء الآداب القومية- قديمها وحديثها- لوحظ أنَّ الصورة التي تُقدِّمها أمة للشعوب الأخرى، قد تُشكِّل مصدراً أساساً من مصادر سوء الفهم والتفاهم بين الدول والثقافات، الناجم عن الصورة العدائية – غالباً–عند هذه الأمة أو تلك، أو الصورة المثالية الحالمة – أحياناً–لعدم وجود رؤية موضوعية للذات وللآخر في الوقت نفسه، ما يسبب تشويها في النظرة إلى الآخر، فتأتي الصورة للآخر ناقصة مبتورة مشوهة، كصورة الشرق الإسلامي في الأدب الغربي أو العكس.

وكي تكون الدراسة في الطريق القويم، ومُجانبة للسلبيات التي يمكن أن يقع فيها باحث في هذا المجال، فكان لابد من دراسة حياة الكاتب، ومدى صلته بالبلد المقصود، ومصادر معلوماته ومدى مصداقية الصورة المرسومة(هلال: 1983، ص101)،

المبحث الأول: صورة عن حياة (الجاحظ) وصلته ببخلاء الفرس ومصدر معلوماته.

أ- صورة عن حياة الجاحظ.

نشأ يتيماً في بيت فقير، كانت موارده محدودة، بل تكاد تكون مقطوعة، فاضطر لبيع السمك والخبز، وكغيره من الصبيان التحق بإحدى الكتاتيب، وقد ظهرت عليه منذُ حداثة سنه علامات النبوغ، كان مجتهداً في طلب العلم والمعرفة من العلماء والكتب والأعراب الخُلَّص، ويلتقي بالبلغاء والفصحاء والخطباء في المجالس والمحافل، فكان وعيه ملتقى ثقافة دينية ولُغوية وأدبية وفلسفية، حتى غدا "عالماً بالأدب فصيحاً بليغاً مصنِّفاً في فنون العلوم وكان من أئمة المعتزلة" (بركات: 1999، ص 75).

من مفارقات الحياة أن تجتمع صفتا الجد والهزل معاً في شخص واحد، هو (الجاحظ)؛ إذ يجمع بين صفة العالم الدؤوب في طلب العلم الذي يستدعي الجد، وبين روح الدعابة والمرح، ولطف المعشر، سريع النكتة، وهو دائم اللهو والطرب للقيان، ذلك كله تجده مجتمعاً في مؤلَّفاته التي حملت روحه وبصماته (بركات: 1999، ص 74)، وقد مثلَّت كتبه

مرحلة النضج العقلي في العصر العباسي، بل كانت ثمرة الجهود العقلية للمعتزلة من حيث اعتمادها على المنطق والجدال العقلي والاستدلال.

ب- صلة الكاتب ببخلاء الفرس ومصدر معلوماته:

إنّ انفتاح الدولة العباسية سياسياً أسهم في الانفتاح الثقافي والاجتماعي؛ إذ ضمت الدولة العباسية أممًا كثيرة؛ مختلفة الأجناس والديانات، فتعددت الثقافات من عربية ويونانية وفارسية، وهندية، فاختلفت في العقائد والعادات الاجتماعية، من بين هذه الأمم برزت الأمة الفارسية؛ إذ كانت أقرب الأمم إلى أمة العرب جغرافيًّا وثقافيًّا، فضلًا عن اعتناقها الدين الإسلامي، فأصبحت جزءًا لا يتجزأ من المجتمع العباسي؛ ولأنّها كانت إمبراطورية كبيرة لها حضارتها وثقافتها ونظامها شرعت بسرعة تؤثر وتتأثر بأمة العرب، الأمر الذي مكّنها من مشاركة العرب حتى في تشكيلة الدولة وصياغة النظام السياسي؛ فكان لها مكان في الأمة العربية، بل ميزة ونفوذ، وبالمقابل فتحت الدولة العباسية الباب على مصراعيه للأمم الأخرى، فاختلطت الأجناس البشرية والتقت الثقافات في مناحٍ وتباينت في أخرى، وكذلك الأفكار. فكان من نتاج هذا التسامح السياسي والديني والامتزاج الحضاري والثقافي أنْ برزت سمات في المجتمع العباسي، من أهمها:

أ. صراع الثقافات.

ب. صراع بين الحضر والبادية، نجمَ عنه قيم اجتماعية جديدة كانتشار البخل، وهي صفة مذمومة عند الأعراب.

ج. بروز فئات قومية تدافع عن ثقافاتها.

كل هذه السمات كانت محيط كاتبنا الجاحظ الذي نشأ في ثقافة دينية ولُغوية وفلسفية ولقاء بالأعراب وتمسَّك بالقيم العربية، فضلاً عن أنَّه شخصية معتزلية مثقفة تؤمن بالجدل والحوار واعتماد المنطق والاستدلال حجةً لها؛ لإقناع الخصم أو المناظر لها، فهو أديب ابن بيئته ومفاهيمها، بيئة تتصارع فيها الثقافات والقيم- التي أخذت في التأثير والتأثر- والظواهر الاجتماعية، بل إنَّ الجاحظ يعدُّ طرفاً شديد المراس في هذا الصراع الحضاري، والذين كتب عنهم يُعدُّون طرفاً من أطراف الصراع، أخذ يبين فساد قيمهم وسوء طباعهم ومغالطاتهم وخداعهم.

فمَن هم هؤلاء الذين قصدهم الجاحظ، وما علاقته بهم فكانوا موضوع كتابه (البخلاء)؟

هم شخصيات بخيلة من طبقة التجار الأثرياء في البصرة وبغداد، (الجاحظ: (د. ت)، مقدمة المحقق، ص36)، "تعللوا بفصيح المقال لآفة هم منها في عناء، ويموّهون بأنها فضيلة، وهم أول من يرزحون تحت عبئها"(هلال: (د. ت)، 57)، لذا يمتعض الجاحظ منهم أيمّا امتعاض مندهشاً متعجبًا يقول فيهم(الجاحظ: (د. ت): "عجبي ممن فطن لبخله، وعرف إفراط شحهِ وهو في ذلك يجاهد نفسه، ويغالب طبعه ولربما فَطن أنْ قد فُطن له، وعُرف ما عنده فموَّه شيئاً لا يقبل التمويه، ورقع خَرقاً لا يقبل الرقع، فلو أنّه كما فطن لعيبه، وفطن لمن فطن لعيبه، فطن لضعفه عن علاج نفسه وعن تقويم أخلاقه"(ص3)، إنّ تكرار الفعل (فطن)، يومئ بدلالته إلى أنَّ البخيل مريض في فهمه إذ جعل البخل يستولي عليه، ويشهر النص كراهة الجاحظ لهذه الصفة الذميمة الدخيلة على العربي المشهود له بكرمه.

وتكمن خطورة ظاهرة البخل سياسياً وثقافياً واجتماعياً في شيوعها بوصفها ظاهرة تمثلها فئات بشرية، لها مفكروها، اتخذوا من الاحتيال والخداع وسيلة لهم، تعظم البخل، وتدافع عنه وتلبسه ثوب الحرص، بل إنَّها تنتقص من شأن العربي لكرمه الذي يُعدُّ من أهم حسناته، بأنَّه ليس مَحْمَدَةَ ولا هو من الخلال الحميدة في شيء (بركات: 1999، ص101)، فانتشارها يعني امتداد النفوذ والجاه والسلطة لأصحابها، خاصة أنَّهم من طبقة التجار الأثرياء في بغداد والبصرة، من أهم حواضر الخلافة العباسية علماً وتجارةً وثقافة، وامتداد هذه الظاهرة يعِني أيضاً بروز أفكار وعادات اجتماعية دخيلة من شأنها أن تعمل على انحراف أخلاقيات المجتمع المتكافل؛ الأمر الذي جعل الجاحظ يعمد إلى تأليف

كتاب (البخلاء) لفضح البخل وإظهار مساوئه وأخلاقيات أصحابه بأسلوب أدبي قصصي ساخر يعتمد على النكتة ذات الدلالة. فضلًا عن إشارته في مقدمة كتابه إلى أنّه ألفه لرغبة أحد أصدقائه من الذين يحتفي بهم؛ إذ طلب منه أنْ يتناول موضوع البخل، ويبدو أنّه من شخصيات الدولة المرموقة، ممن تنبّهوا لخطورة تلك الظاهرة؛ ومن هذا المنطلق نهض الجاحظ مدافعاً ومنبّهًا إلى خطورة الأمر ومشيراً في مقدمة كتابه إلى أنَّ المجتمع "إلى معرفة هذا الباب أحوج، وأنَّ ذا المروءة إلى هذا العلم أفقر" (ص4).

إنّ المتأمل في قصص الجاحظ الواقعية وأحاديثه الحية المتداولة على الألسن في المجتمع واستفهاماته الإنكارية يدرك مرأى الجاحظ وهدفه، وهو نبذ رذيلة البخل وتعظيم فضيلة الكرم.

فقد كتب عن طائفة تمثل مجتمع أهل مرو، تعيش في مجتمعه لها سماتها وسلوكها الخاص بها والذي يمثل المجتمع المروزي(*)، فمن تلك السلوكيات والتي أخذت تتفشى في القوم وتصبح ظاهرة بارزة في المجتمع العباسي، كان البخل.

وكان أول ما سطر قلمه قبل الحديث عن جماعة المروزيين رسالة سهل بن هارون المطولة إلى بني عمه حين ذمّوا مذهبه في البخل ثم أخذ في سرد قصص البخل والتي ستجلب العار لكتابه، كما أشار إلى ذلك في مقدمته(الجاحظ: (د. ت)، ص5).

قد يقول قائل: إنّ في العرب بخلاء، لعل القائل على حق ولكنهم نفر قليل هنا أو هناك، لم تكن فئة تشيع البخل وتنتصر له، وهم مستهجنون بين قومهم العرب، وقد ذكر الجاحظ بعضهم ؛ غير أنّناتوجهنا في الدراسة إلى الكتابة عن البخلاء الفرس دون غيرهم، لتكون ضمن نطاق الأدب المقارن فرع (صورة الآخر)؛ إذ يحاول الباحثون معرفة السمات التي رسمها أديب ما عن فئة من الناس منتمية إلى كيان مختلف عنه(الحربي: 1441، ص161)، و"إذا أردنا دراسة صورة الآخر في نص أدبي يجب الاهتمام بكل مكونات صورة الآخر والتي تتراوح بين الخصائص الشخصية... وما يخرج عن إطار الخصائص الشخصية كالزمان والمكان" (شكري وآخرون: 2017، ص 94).

وقد تمكَّن الجاحظ بدهائه ومنطقه من تجسيد سمات البخل والبخلاء في عصره وبيئته، من خلال قصصه الطريفة المتميزة بطبيعتها السردية وواقعيتها.

المبحث الثاني- صورة البخلاء من الفرس في الكتاب.

إنّ الجاحظ في كتابه هذا يرسم للقارئ صورة مجتمع بدأ يعيش قيم حياة جديدة، ويجسّد فيها اضطراب القيم بين الصحراء والحضر وبين العربي والآخر، وتتجلى هذه المفارقات في قصة أبي سعيد المدائني والثقفي؛ إذ استدان عربي من ثقيف ألف دينار من أبي سعيد المدائني وهو فارسي الأصل، فكان هذا الأخير يزور المستدين، وربما أطال عنده الجلوس ويحضر عنده الغذاء فيتغذى معه، وهو في ذلك يقتضيه، فأقبل عليه رجل من ثقيف، فعرّض له بأنَّه لو أراد التقاضي محضاً، لكان ذلك في المسجد، ولم يكن في الموضع الذي يحضر فيه الغذاء، فغضب الفارسي وثار، وقال بعد أن مزَّق صك الدين أمام المجلس: (هذه ألف دينار كانت لي على أبي فلان، اشهدوا جمعياً أني قد قبضت منه وأنّه بريء من كل شيء أطالبه به). ثم نهض فأقبل العربي على صاحبه يعاتبه فقال: (ما دعاك إلى هذا الكلام؟، لِم تقوله لهذا الرجل على مائدتي، وتُقَدّم الكلام على مَن لا تعرف كيف موقع الأمور منه؟ وبعد، فقد والله أردت مَطلَه إلى أن أبيع الثمر، ورجونا حلاوته، فقد أحسنتَ إليه، وأسأت إلينا وعجلت عليه ماله) (الجاحظ: (د. ت)، ص141 وما بعدها).

---

*نسبة إلى (مرو)، مدينة بفارس، يُنظر: لسان العرب، مادة (مرو).

ومن خلال متابعة ما سرده الجاحظ في دهاء البخلاء الفرس ندرك أنّ غضب أبي سعيد المدائني وشعوره بالإهانة ثم عفوه عن العربي في دينه وتمزيق صك الدين أمام الحاضرين ما هو إلا ضرب من الحيلة والخداع لاستعطاف القوم وتعجيل سداد الدين؛ لأنّه يعلم جيدًا أنّ العربي سيتأثر بالموقف وسيعمل على تسديد الدين على الفور لاسيما والفارسي ضيف في منزله وعلى مائدة طعامه؛ الأمر الذي اضطر المستدين أن يبيع ثماره قبل أن تنضج ليسرع في وفاء الدين؛ فركب إلى المدائني، فأبى أن يأخذه، فلما كثر الإلحاح في ذلك، قال: (أظنُّ الذي دعا صاحبك إلى ما قال أنَّه عربي، وأنا مولى، فإن جعلت شفعاءك من الموالي، أخذتُ هذا المال، وإنْ لم تفعل فإنِّي لا آخذه) فجمع الثقفي كل مولى بالبصرة حتى طلبوا إليه المال (الجاحظ: (د. ت)، ص141-143).

رسم لنا الجاحظ في القصة صوراً تبرز تمازج العرب بالفرس وخصوصية العلاقة بينهما التي تظهر التعصب القومي للفارسي، بدا ذلك واضحاً في قوله: (إنَّه عربي وأنا مولى) ثم اشتراطه على المستدين بأن يجمع الموالي في البصرة إذلالاً له- فلن يكون الأمر هيناً على العربي- وبالمقابل نرى عدم رضى العربي عن صاحبه؛ إذ تحدث على الطعام فإنَّه قد أساء إليه بذلك، أمَّا عن تمزيق الفارسي الصك وإشهاد القوم بإيفاء الدين ما هي إلاَّ حيلة ابتدعها الفارسي للتعجيل بسداد الدين، فطن لها المستدين إذ قال لصاحبه (فقد أحسنت إليه وعجلت عليه ماله)، أمّا وصف الجاحظ له في أول القصة بأنَّه "مع بخله أشد الناس نفساً وأحماهم أنفاً"(الجاحظ: (د. ت)، ص141)، ما هي إلا سخرية لاذعة ونكتة دامغة تحمل في ثناياها سخط الجاحظ من هؤلاء البخلاء المخادعين المحتالين، أمر يتكشف للأريب إذا عاد إلى أول الحديث عن أبي سعيد المدائني إذ قال (الجاحظ (د. ت)): "كان أبو سعيد المدائني إماماً في البخل عندنا بالبصرة، وكان من كبار المعينين ومياسيرهم، وكان شديد العقل، شديد العارضة، حاضر الحجة [*]بعيد الروية"(ص137)، أيعقل أنَّ من كان إماماً في البخل، أنْ يتخلى عن ألف دينار بل إنَّه شديد الذكاء لفهمه أخلاقيات الثقفي، وردود أفعاله، وسرعة بديهته أعمل فكره لاسترداد دينه عاجلاً واستغلال عفة العربي ووفائه إذ جعله يدور على موالي البصرة من الفرس، ليشفعوا له عند الدائن بقبول الدين.

ومع أنّ الجاحظ عربي، فقد سيطرت على كتاباته الشخصية المثقفة والعقلية المعتزلية لعرض آرائه والإقناع بها، فلم تكن مصادره أهواء العصبية العربية ولم يأخذها من كتاب ولم تكن ملاحظات رحالة، وليست قصصه أخباراً مروية، بل أحاديث واقعية التمسها من مجتمعه، فقد عاشها وعاشرها، فلم تكن مصطنعة ولا متكلَّفة ولا مجتلَبة، فعمله في كتاب البخلاء طغت عليه النزعة الفنية، فهو يسخر من بعض العرب البخلاء كما سخر من البخلاء المروزيين (لجاحظ: (د. ت)، مقدمة المحقق، ص32)

وصوَّر الجاحظ البخلاء من طبقة التجار والأثرياء في البصرة، مدينته التي نشأ فيها وعاش، فهي الأرض المفتوحة لكل طارئ وله فيها مكان ظاهر، واحتك بتلك الطبقة، الأمر الذي أنتج عملًا أدبيّا يكشف عن دخائل النفس البشرية ويصف دقائق الحياة الواقعية (يوسف: 2011، ص 213).

إنَّ البخل مفسدة للأخلاق وعار على الحر الكريم وهو من نتاج التحضر، إذ من سماته الحرص على المال والتهالك في سبيله، فيتيه العربي الحر الكريم في هذا التحضر، أينما ولَّى وكان، وقد ينسلخ عن أصله، تلك هي الصورة التي بدت للجاحظ، ورؤيته فيما حوله، وقد بدأت في زمانه بوادر انحرافات أخلاقيات العربي، فلم يعدم الجاحظ وسيلة لدفع هذا الخطر والنيل من أصحابه، فخطرهم أكبر وأشمل. فمن وسائله استغلال قصص البخل والبخلاء؛ لإظهار صورة القوم التي وَضُحتْ لديه فالبخلاء عنده "هم الذين استقطبهم المال، وهللوا له وتجلت تلك النزعة في تجار البصرة وبغداد، الذين

---

[*] شديد العارضة: شديد الناحية، أي ذو جَلَد وصرامة وقدرة على الكلام مُفَوّه، والعارضة: قوة الكلام وتنقيحه والرأي الجيد، حاضر الحجة: يحضره البرهان والإقناع، ينظر: لسان العرب، مادة (عرض، حجج).

كانوا يسيرون في دروب الخداع في الكسب والتحايل على كسبه، ولم يعودوا يهتمون بالوسيلة التي توصلهم إليه فكان من ذلك ابتعادهم عن الدين والخلق والمروءة والكرامة" (بركات: 1999، ص 93، 94). إذ برزت للبخلاء سمات حاول الجاحظ توضيحها في مستهلِّ كتابه بأسلوب الاستفهام، فوضع أسئلة لا حصر لها من شأنها تحديد أخلاقياتهم من نحو: لم سموا البخل إصلاحاً، والشُّحَ اقتصاداً؟ ولمَ جعلوا الجود سَرَفاً والأثرة [*] جهلاً؟، ولمَ زهدوا في الحمد، وقلَّ احتفالهم بالذم؟، ولِمَ حكموا بالقوة لمن لا يميل إلى ثناء ولا ينحرف عن هجاء؟ ولمَ رغبوا في الكسب، مع زهدهم في الإنفاق؟، فكيف ينتحل نصيحة العامة من بدأ يغش الخاصة؟ وغيرها كثير.

وكان من سمات البخلاء التحايل بالدين أو بغيره والمكر والخداع، والجحود وإنكار المعروف وانعدام المروءة. فمن التحايل باسم الدين استغلالهم لبعض تصرفات الرسول(ﷺ) أو أحاديثه، كفعل سهل بن هارون يريد إقناع بني عمه بمذهبه في البخل؛ إذ قال: "وقد كان النبي(ﷺ) يخصف نعله، ويرقع ثوبه ويلطع إصبعه" (الجاحظ: (د. ت)، ص11). ويزيد معللًا: "فترقيع الثوب يجمع مع الإصلاح التواضع وخلاف ذلك يجمع مع الإسراف التكبّر" (الجاحظ: (د. ت)، ص12)

إنّ تصرُّف النبي(ﷺ)نابع من حاله وحقيقة معاشه فلا يدعي الفقر بخلاً؛ إذ يذهب جلّ ماله صدقات وجوداً، فقد كان كالريح المرسَلة.

وقصة ثانية له يفضح فيها فئة من الناس تتاجر وتتظاهر بالتقشف بخلاً، وهي عن ابن امرأة فارسية تُدعى (أم فيلويه)، حضرت مأتمًا في الحي، وفي القصة: "حدثتني امرأة تعرف الأمور، قالت: كان في الحي مأتمٌ اجتمع فيه عجائز من عجائز الحي، فلما رأين أنّ أهل المأتم قد أقمن المناحة، اعتزلن وتحدثن، فبينا هنّ في حديثهن، إذ ذكرن بر الأبناء بالأمهات... فقالت واحدة منهن، وأم فيلويه ساكتة، وكانت امرأة صالحة، وابنها يظهر النسك ويدين بالبخل، وله حانوت في مقبرة بني حصن يبيع فيها الأسقاط [*]. قالت: فأقبلت عليها واحدة ممن كُنَّ معها في المأتم. قالت لها: مالكِ لا تحدِّثين معنا عن ابنك كما يتحدّثن؟ وكيف صنع فيلويه فيما بينك وبينه؟ قالت: كان يُجري عليَّ في كل أضحى درهماً، ثم قالت: وقد قطعه أيضاً، فقالت لها المرأة: وما كان يجري عليك إلا درهماً؟، قالت: ما كان يجري علي إلا ذاك، ولقد ربما أدخل أضحى في أضحى، فقالت المرأة: يا أم فيلويه وكيف يدخل أضحى في أضحى؟ قد يقول الناس: إنّ فلاناً أدخل شهراً في شهر ويوماً في يوم وأمّا أضحى في أضحى، فهذا شيء لابنك لا يشركه فيه أحد"(الجاحظ: (د. ت) ص114- 115).

فابن المرأة المدعو(فيلويه)، يظهر النُّسك والتقشف ولا يدين إلاَّ بدين البخل، والإسلام برئ من تصرفه؛ ذلك أنَّه يبر أمه بدرهم سنة وينساها سنة، فقد بيَّنتْ هذه القصة سلبيات البخيل الذي يتظاهر بالدين، فيخادع الناس على أنَّ تقشفه زهدا في الدنيا، وتقرَّباً إلى الله، وهو في الأصل بخيل يحب المال ويفضل الدرهم على رضا ربه وأمه.

وهذا أبو عبد الرحمن أحد بخلاء الجاحظ كان "يعجب بالرؤوس ويحمدها ويصفها، وكان لا يأكل اللحم إلا يوم أضحى أو من بقية أضحيته أو يكون في عرس أو دعوة أو سُفرة وكان سمَّى الرأس عرساً، لمَا يجتمع فيه من الألوان الطيبة، وكان يسميه مرة الجامع ومرة الكامل، وكان يقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة... والرأس فيه الدماغ فطعم الدماغ على حدة، وفيه العينان وطعمهما شيء على حدة، وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين وطعمها على حدة... " (الجاحظ: (د. ت)، ص107)، وهكذا يستمر الجاحظ واصفًا خوض البخيل في سرد تفصيل التفاصيل لولده مبينًا موقع الرأس وأهميته.

يصور الجاحظ أبا عبد الرحمن عند أكله الرؤوس وكأنَّه في طقوس قائلاً: "وكان إذا كان يوم الرؤوس أقعد ابنه معه على الخوان، إلا أنَّ ذلك بعد تشرُّط طويل، وبعد أن يقف به على ما يريده"(ص108).

---

[*] الأثرة، بفتح الهمزة والثاء: الاسم من آثر يؤثر إيثارًا إذا أعطى، ينظر لسان العرب، مادة(أثر).

[*] الأسقاط: الرديء الذي لا خير فيه من كل شيء، رديء المتاع، يُنظر: لسان العرب، مادة (سقط).

ثمّ يعمد بعد ذلك إلى بيان منهجية الرجل في البخل وإيمانه المترسخ في نفسيته وتعليم ولده المنهج الذي صار معتقدًا وغرسه في عقلية الولد، كان يتحايل – باسم الدين – على ابنه، قائلًا في وصية يوصيه بها "واعلم أنَّ الشبع داعية البشم[*] وأنّ البشم داعية السقم، وأنَّ السقم داعية الموت؛ ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة، وهو قاتل نفسه وقاتل نفسه ألوم من قاتل غيره، وأعجب إن أردت العجب، وقد قال الله جلَّ ذكره: {ولا تقتلوا أنفسكم}، وسواء قتلنا أنفسنا أو قتل بعضنا بعضاً كان ذلك للآية تأويلاً أي بني إنَّ القاتل والمقتول في النار، ولو سألت حذّاق الأطباء لأخبروك أنّ عامة أهل القبور إنّما ماتوا بالتّخَم"(الجاحظ: (د. ت)، ص109)، ومن وصايا أبي عبدالرحمن لولده: "أي بني لمَ صار الضبُّ[*] أطول شيء عمراً؛ إلا لأنَّه إنَّما يعيش بالنسيم؟ ولمَ زعم الرسول (ﷺ) أنَّ الصوم وجاء[*] إلا ليجعل الجوع حجازًا دون الشهوات؟، افهم تأديب الله فإنَّه لم يقصد به إلا إلى مثلك"(الجاحظ: (د. ت)، ص 110).

ولم يترك الرجل قولًا مأثورًا إلا استغله لدعم معتقده، من نحو قوله: "وكان عمر يقول: إياكم وهذه المجازر، فإنَّ لها ضراوة كضراوة الخمر، وكان يقول: مدمن اللحم كمدمن الخمر، وقال المسيح-ورأى رجلاً يأكل اللحم-فقال: لحم يأكل لحماً أفٍّ لهذا عملاً"(الجاحظ: (د. ت)، ص108- 109).

كما ترى كيف أبرز الجاحظ اقتناص هؤلاء القوم للقرآن الكريم والأحاديث والأقوال وتوظيفها كشواهد يدعمون بها مذهبهم في البخل، فيأتون بها في غير تأويلاتها وفي غير مواضعها.

ومن أعاجيب أبي عبد الرحمن-كما يرى الجاحظ-أنَّ له تحايلاً وتأويلاً من باب آخر من أبواب التحايل باسم الدين، فمما قاله في وصيته: "أي بني إنَّما صار تأويل الدرهم (دارالهم)، وتأويل الدينار (يدني إلى النار)، أنَّ الدرهم إذا خرج إلى غير خَلَف، وإلى غير بدل، دار الهم على دانق مخرجه وقيل: إنَّ الدينار يدني إلى النار لأنَّه إذا أنفقه في غير خلف، وأخرج إلى غير بدل، بقي مخفقاً معدماً، وفقيراً مبلطاً[*]متحرّج المخارج، وتدعوه الضرورة إلى المكاسب الرديئة والطعم الخبيثة، والخبيث من الكسب يسقط العدالة ويذهب بالمروءة، ويوجب الحد، ويدخل النارً(الجاحظ: (د. ت)، ص106).

فكما كان الموت بالتخمة حراما عند أبي عبد الرحمن؛ لأنّه قتلٌ للنفس، كان صرف الدرهم والدينار حراماً؛ لأنَّه يؤدي إلى الفقر والفقر يؤدي إلى ارتكاب المعاصي والآثام فذلك يسقط العدالة ويذهب بالمروءة ويوجب الحدَّ ثم يدخل النار، وهكذا يُغضِب المرءُ ربّه، ومن هذا الباب كان البخل أنفع وأجدى عنده وآخر وصيته: "أي بُني قد بلغت تسعين عاماً ما نغض لي سنٌّ، ولا تحرّك لي عظم، ولا انتشر لي عصب، ولا عرفت دنين أذن، ولا سيلان عين، ولا سلس بول، ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد، فإن كنت تحب الحياة، فهذه سبيل الحياة، وإنْ كنت تحب الموت، فلا يبعد الله إلاَّ مَن ظلم"(الجاحظ: (د. ت)، ص110- 111)

وفي الختام يعلق الجاحظ: "هذه كانت وصيته في يوم الرؤوس وحده، فلم يكن لعياله إلاَّ التقمُّم[*] ومصُّ العظم"(ص 111).

وكان قد ابتدأ القصة: "وأبو عبد الرحمن هذا، شديد البخل شديد العارضة، عضب اللسان وكان يحتجّ للبخل ويُوصي به، ويدعو إليه، وما علمت أنّ أحدًا جرّد في ذلك كتابًا إلا سهل بن هارون وهو". (الجاحظ: (د. ت)، ص106).

---

[*]البشم: التُّخَمة، يُنظر: لسان العرب، مادة (بشم).

[*]الضب: دويبة من الحشرات، يُنظر: لسان العرب، مادة (ضبب).

[*]وَجاء: مانع الشهوات، يُنظر: لسان العرب، مادة (وجأ).

[*]مبلطًا: افتقر وذهب ماله، يُنظر: لسان لعرب، مادة (بلط).

[*]التقمم: يقصدون القمامات أو الأوساخ، يُنظر: لسان العرب، مادة (قمم)

ثم يدخل في سرد تفاصيل قصة أبي عبد الرحمن معرفًا به، فيعمد إلى وصف مواقف الرجل ورسم مشاهد تؤكد بخله وتقييد الوصايا لولده.

وبعد أنْ انتهى الجاحظ من وصف المواقف ورسم المشاهد وإيراد الوصايا، ذيّل القصة بنقد لاذع مطول وتعليقات سلط فيها الضوء على علة شراء الرجل للرؤوس يوم السبت من نحو قوله: "وأمّا اختيار شراء الرؤوس يوم السبت فإنَّ القصابين يذبحون يوم الجمعة أكثر، فتكثر الرؤوس يوم السبت...، ولأنَّ العوام والتجار والصناع لا يقرمون[*] إلى أكل الرؤوس يوم السبت، مع قرب عهدهم بأكل اللحم يوم الجمعةً"(ص111).

وإذا كانت التخمة تسبب الأمراض، فلا يعني ذلك أن يكون المرء في النقيض، وأنَّ الحياة تكون بالتخفيف المجحف المهلك الذي يؤدي إلى تقمم الأبناء، هذه رؤيا الجاحظ من قصة أبي عبد الرحمن هذا.

إن وصية أبي عبد الرحمن وفعل فيلويه بأمه، وما جاء في رسالة سهل بن هارون وقبل ذلك قصة أبي سعيد المدائني مع العربي الثقفي، ذلك كله ما هو إلاَّ من منافذ الجاحظ يشهّر من خلالها بأخلاق البخلاء التي يتعجب منها في مقدمة كتابه إذ يستفهم متعجباً ومندهشاً: كيف يدعو إلى السعادة من خصَّ نفسه بالشقوة؟، فكيف ينتحل نصيحة العامة، من بدأ يغش الخاصة؟ ولمَ احتجوا-مع شدة عقولهم- لما أجمعت الأمة على تقبيحه؟ ولمَ فخروا- مع اتساع معرفتهم- بما أطبقوا على تهجينه؟ وكيف يفطن عند الاعتلال له، ويتغلغل [*] عند الاحتجاج عنه، إلى الغايات البعيدة والمعاني اللطيفة، ولا يفطن لظاهر قبحه، وشناعة اسمه، وخمول ذكره وسوء أثره على أهله، وكيف وهو الذي يجمع له بين الكدِّ وقلة المرزئة وبين السهر وخشونة المضجع، وبين طول الاغتراب وطول قلة الانتفاع ومع علمه بأنّ وارثه أعدى له من عدوّه، وأنّه أحقّ بما لهمن وليّه، أو ليس هو أظهر الجهل والغباوة وانتحل الغفلة والحماقة، ثم احتج لذلك بالمعاني الشداد وبالألفاظ الحسان، وجودة الاختصار وبتقريب المعنى وبسهولة المخرج وإصابة الموضع، فكان ما ظهر من معانيه وبيانه مكذِّبًا لما ظهر من جهله ونقصانه، ولمَ جاز أنْ يُبصر بعقله البعيدَ الغامض، ويغبى عن القريب الجليل؟... ما الشيء الذي خبّل عقولهم وأفسد أذهانهم وأغشى تلك الأبصار ونقض ذلك الاعتدال؟ وما الشيء الذي له عاندوا الحقّ وخالفوا الأمم؟ وما هذا التركيب المتضاد والمزاج المتنافي؟ وما هذا الغباء الشديد الذي إلى جنبه فطنة عجيبة؟ (الجاحظ: (د. ت)، ص2).

بهذه الاستفهامات الإنكارية والتعجبية يفضح الجاحظ خلائق البخلاء، ويذم الظاهرة فضلًا عن تقبيحه لها والتنبيه إلى خطرها، ويحذر من فصاحة أصحابها وامتلاكهم للبيان وقدرتهم على الإقناع؛ وكأنّ الجاحظ يوجّه خطابه لعقلاء الأمّة لسرعة تدارك خطر ظاهرة البخل قبل أنْ تستفحل في المجتمع العباسي.

امتلك الجاحظ القدرة العالية في دقة التصوير، فضلًا عن ثقافته الواسعة وخبرته الكبيرة بالثقافات المتعددة وأهلها، لاسيما أنّه سكن وعاش وولد في حواضر الأمة الإسلامية الثقافية الكبرى، كبغداد والبصرة وغيرهما من حواضر العلم والمعرفة، أما ما يكمل تجربته الواسعة فهو انتسابه للمعتزلة الفرقة التي عُرفت بالعلم والمعرفة والقدرة على الجدل والمحاججة، وامتلاك نواصي الفلسفة والمنطق، الأمر الذي جعل الجاحظ يعمد إلى تصوير قبح البخل والبخلاء وما يترتب عليهما من تأثير على المجتمع العباسي؛ إذ تضرّ بأخلاقه الإسلامية القائمة على الجود والكرم وتقديم الموائد للفقراء، وهو ما يعزّز من تكافل المجتمع الإسلامي وتميّز حضارته.

فبغداد والبصرة ومرو وخراسان وغيرها حواضر إسلامية، وتعدّ دور هجرة لاحتضان العلم والعلماء والمهاجرين والسابلة؛ فإذا ما هُدرت قيم الكرم وتقديم الطعام لهؤلاء المهاجرين؛ فإنّها ستؤثر في روابط الإخاء بين أفراد المجتمع

---

[*] يقرمون: يشتهون، يُنظر: لسان العرب، مادة (قرم).

[*] يتغلغل: يدخل الشيء في الشيء حتى يلتبس به، يُنظر: لسان العرب، مادة (غلل).

المسلم، ووجود ظاهرة البخل والبخلاء في الأمة الفارسية بشكل أوسع من وجودها في الأمة العربية، إنّما يدل على سبق الأمة الفارسية إلى التمدّن والتحضّر؛ لأنّ ذلك من شأنه التسابق في جمع المال والاقتصاد، وهذا عادة ما يكون في المجتمعات المتحضرة، والجاحظ يعلم ذلك جيدًا لكنه حاول الميل إلى تفضيل الكرم؛ لأنّ في ذلك مدعاة للتآلف والتكافل وهذا ما يدعو إليه الإسلام.

وإذا ما قورن الجاحظ في تناوله لظاهرة البخل والبخلاء في كتابه (البخلاء) بكثير من كتّاب اليوم، فإنّه لم يكن متعصبًا بل كان معتدلًا في طرحه ومنفتحًا على الآخر.

ومن أعاجيب هؤلاء البخلاء ما أورده الجاحظ من رسالة سهل بن هارون التي صدّر بها كتابه وفيها: "وقد قلت لكم – عند إشفاقي عليكم – إنّ للغنى سُكرًا وإنّ للمال لنزوة، فمن لم يحفظ الغنى من سُكر الغنى فقد أضاعه، ...، وقال زيد بن جَبَلة: ليس أحد أفقرَ من غَني أمِنَ الفقر، وسُكر الغنى أشدّ من سُكر الخمر"(الجاحظ: (د. ت)، ص14).

مع أنّ ظاهرة البخل لا يقع خطرها على الكرماء، كما يظن البخلاء وإنّما ضررها الحقيقي يقع على البخلاء أنفسهم، أليس في قول أبي الطيب المتنبي ما يُثبت هذه الحقيقة (المتنبي: 1980، 255/2):

ومَن يُنفِقِ الساعاتِ في جَمعِ مالهِ مَخافَةَ فقْرٍ فالذي فَعلَ الفَقرُ

ومما قاله سهل ابن هارون: "وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدَّم الأدباء: العلماء أفضل أم الأغنياء؟ قال بل العلماء، قيل: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، أكثر مما يأتي الأغنياء أبوب العلماء؟ قال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى، ولجهل الأغنياء بفضل العلم"(الجاحظ: (د. ت)، ص15).

وللجاحظ حقّ أنْ يتعجب من أمر هؤلاء البخلاء فهم يفتشون بطون الكتب ويتصيدون المواقف والأحداث والإرث التاريخي للأمم ليتغلغلوا إلى العقل البشري ويتمكنوا من التأثير على من حولهم، لغرس معتقداتهم وهذا ما صرّح به ابن هارون في رسالته محذرًا: " ولسنا ندع سِيَرَ الأنبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب الأهواء" (الجاحظ: (د. ت)، ص15).

ومن أحاديث الجاحظ في البخلاء وصية خالويه المُكَدِّي الذي بلغ في البخل والاحتيال وكثرة المال ما لم يبلغه أحد(الجاحظ: (د. ت)، ص46)، مما قاله عند موته "فإنْ سلكت سبيلي صار مال غيرك وديعة عندك وصرت الحافظ على غيرك، وإنْ خالفت سبيلي صار مالك وديعة عند غيرك، وصار غيرك الحافظ عليك... فأول ما أوقعَ في رُوعي أنّ مالي محفوظ عليَّ وأنّ النّماء لازم لي، وأنّ الله سيحفظ عقبي من بعدي، أنّي لمّا غلبتني يومًا شهوتي وأخرجت يومًا درهمًا لقضاء وطَري ووقعت عيني على سِكَّته وعلى اسم الله المكتوب عليه، قلت في نفسي: إنّي إذا لمن الخاسرين الضالين، لئن أنا أخرجت من يدي ومن بيتي شيئا عليه (لا إله إلا الله) وأخذت بدله شيئًا ليس عليه شيء، والله إنّ المؤمنَ لينزع خاتمه للأمر يريده وعليه (حسبي الله) أو (توكلت على الله) فيظن أنّه خرج من كنف الله – جلّ ذكره – حتى يُرَد الخاتم في موضعه، وإنما هو خاتم واحد، وأنا أريد أنْ أخرِج في كل يوم درهمًا عليه الإسلام كما هو؟ إنّ هذا لعظيم"(الجاحظ: (د. ت)، ص49، 51) قال الجاحظ متممًا قصته عن خالويه: "ومات من ساعته، وكفّنه ابنه ببعض خُلقانه، وغسله بماء البئر، ودفنه من غير أنْ يَضرَح له، أو يَلحَد له، ورجع فلما صار إلى المنزل نظر إلى جرّة خضراء معلقة، قال: أيُّ شيء في هذه الجرّة؟ قالوا: ليس اليوم فيها شيء، قال: فأي شيء كان فيها قبل اليوم؟ قالوا: سمن، قال: وما كان يصنع به؟ قالوا: كنا في الشتاء نلقي له في البرمة شيئا من دقيق نعمله له، فكان ربَّما برقه بشيء من سمن، قال: يقولون ولا يفعلون، السمن أخو العسل، وهل أفسد الناسُ أموالَهم إلا في السمن والعسل والله لولا أنّ للجرة ثمنًا لما كسرتها إلا على قبره، قالوا: فخرجَ فوق أبيه، وما كنّا نظنّ أنّ فوقه مزيدًا" (ص51).

وهنا تظهر نهاية البخيل؛ إذ لم يحظَ بما يحظى به كل ميت مسلم من طقوس مقدسة، فلم يكفنه ابنه بكفن جديد يليق بحرمة الميت، بل لفّه بخلقانه من ملابسه البالية الممزقة، ولم يغسله بماء الورد أو ما شابهه، بل بماء البئر، وكذلك دفنه بدون تضريح، ودسه في قبر من غير لحد، مع كل ما جمعه من مال، فقد كان الجزاء من جنس العمل كما يقولون، فهذه عاقبة البخيل، مهان في حياته وفي مماته.

وهذا إسماعيل الغزواني يتصيد أقوال الرسول (ﷺ)، من نحو قوله "إنّك إنْ تذر ورثتك أغنياء، خير من أنْ تذرهم عالة يتكففون الناس" (البخاري 1422، 80/8)، قال شارحًا للحديث ومعلِّلًا: " ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يرحم عيالنا إلا بفضل رحمته لنا، فكيف تأمروني أن أوثر أنفسَكم على نفسي، وأقدّم عيالكم على عيالي، وأنْ أعتقدَ الثناء بدلًا من الغنى، وأنْ أكنز الريح وأصطنع السراب بدلًا من الذهب والفضة" (الجاحظ: (د. ت)، ص92).

وعدا التحايل باسم الدين تجد فيهم انحرافات خلقية، فهم عن المروءة أبعد، وفي قصصهم للمرء في هذا المجال عظة واعتبار، فمن ذلك روايته قصة العراقي مع المروزي؛ إذ جاء فيها: "ومن أعاجيب أهل مرو... أنَّ رجلاً من أهل مرو كان ولا يزال يحجّ ويتّجر، وينزل على رجل من أهل العراق، فيكرمه ويكفيه مؤونته، ثم كان كثيراً ما يقول لذلك العراقي: ليت أنّي قد رأيتك بمرو، حتى أكافئك لقديم إحسانك، وما تُجدد لي من البِر في كل قدمة فأما هنا فقد أغناك الله عني. فعرضتْ لذلك العراقي، بعد دهر طويل، حاجة في تلك الناحية؛ فكان مما هوَّن عليه مكابدة السفر ووحشة الاغتراب، مكان المروزي هنالك، فلما قدم مضى نحوه في ثياب سفره وفي عمامته وقَلَنسوته وكسائه، ليحط رحله عنده كما يصنع الرجل بثقته وموضع أنسه، فلما وجده قاعداً في أصحابه، أكبَّ عليه وعانقه، فلم يره أثبته، ولا سأل به سؤال من رآه قط، قال العراقي في نفسه: لعلَّ إنكاره إياي لمكان القناع، فرمى بقناعه، وابتدأ مساءلته، فكان له أنكر، فقال: لعله أن يكون إنَّما أُتي من قبل العمامة؛ فنزعها ثم انتسب وجدد مساءلته، فوجده أشدّ ما كان له إنكاراً، قال: فلعله إنَّما أُتي من قبل القلنسوة، وعلم المروزي أنّه لم يبقَ شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل، فقال: لو خرجتَ من جلدِك لم أعرفك، ترجمة هذا الكلام بالفارسية: أكرازبوست بارون بيائي نشناستم"(الجاحظ: (د. ت) ص22).

ولعل في قصة زيارة العراقي لصديقه المروزي؛ إذ أنكره وتظاهر بعدم معرفته له، ما يثبت تأصل سمة البخل في أهل مرو، فضلًا عن إبراز الجاحظ لمقولة المروزي لصاحبه العراقي وهو يحاول خلع قناعه ثمّ عمامته ليسهّل على المروزي معرفته: (لو خرجت من جلدك لم أعرفك)، ثمّ ترجمته للمقولة باللغة الفارسية، ما يوحي بل يؤكد بروز صفة البخل الذميمة في أهل مرو واشتهارهم بها.

ففيها يبرز كرم العربي ولأمد غير قصير للمروزي، الذي كان يتصنع الشكر ويخادعه ويُمنيه، لو أنَّه جاء إلى مرو، وبخل المروزي الذي وعد برد الجميل والمعروف والإحسان، ولمّا انعكس الأمر ونزل العربي على المروزي، أنكره هذا الأخير أشد الإنكار، ما يبين انعدام المروءة عنده وإحلال قبح البخل فيه، وخلع برقع الحياء وانعدام الاستحياء، ذلك كله يومئ به الجاحظ في جحود المروزي للعربي الذي أكرمه دهراً وردَّ عليه حين جاءه ضيفاً؛ إذ قال: "لو خرجت من جلدك لم أعرفك" وإمعاناً في إشهار مثل هذا الخلق القبيح المشين ترجم الجاحظ الردَّ إلى الفارسية، وهنا تظهر صورة الآخر التي أراد الجاحظ التحذير من سلوكها بسرده الأدبي الرصين.

وله في استضافة البخلاء قصص عدة يظهر فيها معاملتهم للضيف تلك المعاملة التي تتناسب مع نزعات البخل الكامنة وراء الصدور وإن كانت أخفّ وطأً من معاملة المروزي للعراقي، كذاك الذي استضاف أحدهم للمبيت عنده بعد أن علم أنَّه قد تعشى ورحب به بعد أن علم أنَّه يحمل معه قربة نبيذ، فطال الليل على الضيف وغلبه النوم، فاتخذ البساط فراشاً ويده وسادة؛ إذ لم يكن في البيت إلاَّ مصلى له ومخدة، فأخذ المضيف المخدة فرمى بها إلى الضيف، وذلك تظاهراً بالكرم، فيأخذها الضيف بعد تردد، ثم وضعها تحت خده. ولكن النوم امتنع عنه لإنكاره الموضع ويبس فراشه، وظن

البخيل أنّ صاحبه قد نام، فتسلل إليه، حتى سلَّ المخدة من تحت رأسه- إذ لم يستطع التغلب على بخله- ولمّا افتضح أمره اعتذر بأنَّه يريد أن يسوي المخدة (الجاحظ: (د. ت)، ص130).

مِن بخلاء الجاحظ مَن تجاوز ما تعارف عليه الناس، فمن المألوف أن يتجنب البخيل دعوة الناس إلى مائدته إلا الباسياني. قال أبو الجهجاه النوشرواني: " حدثني أبو الأحوص الشاعر قال: كنا نفطر عند الباسياني، فكان يرفع يديه قبلنا، ويستلقي على فراشه، ويقول: " إنَّما نطعكم لوجه الله، لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً" (الجاحظ: (د. ت)، ص45).

أنَّى للبخيل أن يتمم معروفه وهو أولاً أخلَّ بآداب المائدة؛ إذ رفع يديه قبل ضيوفه ثم يأتي على فراشه، وكأنَّه يريد من ضيوفه التوقف عن الطعام ولا يكتفي بذلك، بل ينغِّص عليهم لقمتهم منه بذكر الآية الكريمة؛ كي لا يستسيغوا طعامه؛ فلا يأتون إليه ثانية، وهذه هي نية البخيل وحقيقته التي تُستَوحى من معاملته لضيوفه.

وكثيرة هي رواياته التي تنص على أنّ البخل طبع متأصل في أهل مرو وخراسان، منها: "وقال ثمامة: لم أرَ الديك في بلدة قط إلا وهو لافظ، يأخذ الحبة بمنقاره، ثم يلفظها قدّام الدجاجة، إلا ديكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحَب. قال: فعلمتُ أنّ بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء، فمن ثمّ عمّ جميع حيوانهم. فحدّثت بهذا الحديث أحمد بن رشيد، فقال: كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبيّ له صغير يلعب بين يديه، فقلت له، إمّا عابثًا وإمّا ممتحنًا: أطعمني من خبزكم، قال: لا تريده، هو مرّ، فقلت: فاسقني من مائكم، قال: لا تريده، هو مالح، قلت: هاتِ لي من كذا وكذا، قال: لا تريده، هو كذا وكذا، إلى أنْ عدَدْت أصنافًا كثيرة، كل ذلك يمنعنيه ويبغّضه إليّ، فضحك أبوه، وقال: ما ذنبنا؟ هذا مَنْ علّمه ما تسمع؟ يعني أنّ البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم "(الجاحظ: (د. ت)، ص 18)، الأمر الذي يثبت تأصّل ظاهرة البخل لدى الآخر الفارسي.

ومنها: "قال أبو نواس: كان معنا في السفينة – ونحن نريد بغداد – رجل من أهل خراسان، وكان من عقلائهم وفقهائهم، فكان يأكل وحده، فقلت له: لمَ تأكل وحدك؟ قال: ليس عليّ في هذا الموضع مسألة، إنّما المسألة على من أكل مع الجماعة، لأنّ ذلك هو التكلّف، وأكلي وحدي هو الأصل، وأكلي مع غيري زيادة في الأصل"(الجاحظ: (د. ت)، ص24).

هذه الصور وغيرها مما عرضه الجاحظ في كتابه "البخلاء" إنّما تدل دلالة واضحة على تأصل ظاهرة البخل في الآخر الفارسي لاسيما في مدينة مرو؛ إذ أصبحت جزءًا من حياتهم وثقافتهم في صغيرهم وكبيرهم، في طيورهم وحيواناتهم

المبحث الثالث- مصداقية الصورة وو اقعيتها.

صوَّر الجاحظ أمة تعيش في أمته تمثلت في فئة البخلاء الفرس من مرو وخراسان، وقد أخذت تؤثر في المجتمع العباسي بعاداتها وتقاليدها التي لم يألفها العربي وغدت خطراً على أخلاقياته، إذ يحتجون للبخل ويزينونه ويذمون الكرم الذي هو من أهم شيم العرب، والجاحظ بعد أنْ عرى هؤلاء البخلاء من مصداقيتهم في توجهاتهم ومعتقداتهم، عمد إلى إبراز فضيلة الكرم وأشاد بها من الشعر والنثر، لكي يذكر المجتمع العباسي بأخلاقيات العرب.

إذ يشرع الجاحظ في أكثر من صفحة من مقدمته في ذم البخل والبخلاء وتقبيحهما، وبيان أثر صفة البخل على صاحبه وأهله والمجتمع، ويتضح ذلك في قصصه، التي يسردها سردًا أدبيًا في كتابه "البخلاء"، يُنفر الجاحظ في وصفه لهؤلاء البخلاء من أخلاقياتهم المنافية للإسلام، ثم يواصل حديثه موجّهًا سهامه إليهم: "فأمّا ما سألتَ من احتجاج الأشحاء ونوادر أحاديث البخلاء، فسأوجدك ذلك في قصصهم- إن شاء الله تعالى- مفرَّقاً وفي احتجاجاتهم مجملاً، فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندي، دون ما انتهى إلي من أخبارهم، على وجهها وعلى أنّ الكتاب أيضاً يصير أقصر، ويصير العار فيه أقل"(ص5).

إنَّ البخل عند الجاحظ صفة ذميمة مشينة مخزية تجلب العار لمجرد ذكرها. وكان أول مَن افتَتحَ به كتابه كان من الفرس، مبتدئًا برسالة (سهل بن هارون) ثم بطُرَفِ أهل (خراسان)لإكثار الناس فيهم (الجاحظ: (د. ت)، ص5).

وانتقى خصلة من الخصال التي يذمها العربي بفطرته التي جبل عليها وهي (البخل)، لانتشارها بين هؤلاء القوم وسعيهم في ترسيخها من خلال منهجتها وتأسيس دعائم لها في المجتمع العربي التي تكاد تخلو منه هذه الظاهرة لولا بعض النفر، وقد أشار إليهم الجاحظ في آخر كتابه. وقد تجنبنا الخوض في بخلاء العرب؛ لأنّ موضوع الدراسة يقتضي إبراز صورة الآخر، وهم البخلاء الفرس من مرو وخراسان.

في مواقفه هذه تتضح مآرب الجاحظ من تأليف كتابه "البخلاء" المتمثلة في فضح البخل والبخلاء، تلك المآرب التي تحاكي وجدانه وتوافق خلفيته فيحاول الانتصار لها والعمل على تحقيقها(يوسف، 2011، ص212)، غير أنَّه لم يندفع بنزعته القومية هذه وفطرته العربية الأصيلة وراء أهواء النفس، فقد التزم الجاحظ طريقة الراوي المحايد مفيداً من عقليته المعتزلية ومن معارفه الاجتماعية، فجعل الحديث عن البخل موضوعًا اجتماعيًّا، وطرحه طرحًا أدبيًّا، غلبت عليه النزعة الأدبية الجياشة القوية الحس السريعة الاستجابة التي يمتاز الجاحظ بها، فأنتج موضوعًا أدبيًّا ومتعة فنية (لجاحظ: (د. ت)، مقدمة المحقق، ص33).

فكتاب "البخلاء" الذي خصه الجاحظ بالهزل والنوادر، هو "مجموعة كبيرة من الأقاصيص الفكهة عن الأشحاء البخلاء في عصره" (ضيف، (د. ت)، ص 539)، وهو يعرض عليك بخلاء عصره في غير تصنّع ولا مداراة، ولا يستعين على وصفهم بالتاريخ أو ذاكرة الماضي إنما يستعين بواقعه وحاضره المعاش يريد أنْ يجعل الأدب صورة من الواقع(ضيف، (د. ت)، ص 163)، وتظهر الواقعية في نواحٍ مختلفة من الكتاب، ومنها أنّه يعتمد على إبراز الصورة كما يراها الرائي وكما يصورها المصور لا على الصورة الخيالية (لجاحظ: (د. ت)، مقدمة المحقق، ص25)، فتمكن بقدرته الفنية من تقديم صورة أمينة لدقائق عصره، وما يؤكد مصداقية الصورة عنده وأنّها منقولة من واقعه المعاش ما أورده في مقدمته: "وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافة إلى أربابها، وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها، إمّا بالخوف منهم، وإمّا بالإكرام لهم، ولولا أنَّك سألتني هذا الكتاب لما تكلفته، ولما وضعت كلامي موضع الضيم والنقمة": (الجاحظ: (د. ت)، ص8).

ويرى الدكتور طه حسين (2017) أنّ كتاب البخلاء: "من أجود الكتب... جمع فيه الجاحظ أخبارًا تتصل بالبخلاء الذين في عصره... وقيمة هذا الكتاب لا أدري أهي في الجمال اللفظي واستقامة المعنى؟ أم في خصب المعاني؟ أم هذا التصوير الدقيق الذي لا يقاس إليه تصوير، تصوير حياة البصرة وبغداد في عصر الجاحظ"، (ص66)، إنّه يعتمد "على الواقع التاريخي، فهو يحكي عن شخصيات عاصرها... ولكنه يتبع في كثير منها الأسس الفنّية التي توفر لها الحيوية الأدبية" (هلال: (د. ت)، 57)

فالجاحظ في تصويره يحاول تقديم جانب من حقائق النفس البشرية، في ثوب أدبي رفيع من فن القول ويبث المعاني النفسية في ثنايا الصورة الأدبية(الجاحظ: 1985، ص136- 137) باتباعه الأسلوب القصصي الإخباري، الذي يكون الحوار فيه وسيلة من وسائل تصوير الآخر وتحريك الحدث لتوضيح الصورة والإيحاء من خلالها بالمغزى، دون تعصب أو نزعة قومية، بل بواقعية ومنطق عقلي كما حدث في قصة أبي سعيد المدائني مع الثقفي، إذ وظَّف الجاحظ الحوار؛ لإظهار العلاقة بين الأنا والآخر؛ وذلك لما قال الفارسي(أبو سعيد المدائني) للثقفي: "أظن الذي دعا صاحبك إلى ما قال إنَّه عربي وأنا مولى، فإنْ جعلت شفعاءك من الموالي أخذت هذا المال، وإنْ لم تفعل فإني لا آخذه" (الجاحظ: (د. ت)، ص142) وكذلك الحوار الذي أجراه بين الفارسيتين (أم فيلويه وامرأة أخرى) وذلك في المأتم، إذ تقول المرأة: مالك لا تحدثين معنا عن ابنك كما يتحدثن؟ وكيف صنع فيلويه فيما بينك وبينه؟ قالت: كان يجري علي في كل أضحى درهما، ثم قالت: وقد قطعه أيضاً، فقالت لها المرأة وما كان يجري عليك إلاَّ درهماً؟ قالت: ما كان يجري علي إلاَّ ذاك، انظر إلى هذا التكرار في الحوار إذ يبرز جانباً من صورة ولد المرأة البخيل (فيلويه)، ولتثبيت الصورة وإيضاحها استمرَّ في إنشاء الحوار إذ تضيف أم فيلويه: ولقد ربما يدخل أضحى في أضحى، وترد الأخرى متعجبة: يا أم فيلويه وكيف يدخل أضحى في أضحى؟ قد يقول

الناس: إنّ فلاناً أدخل شهراً في شهر، ويوماً في يوم، وأمَّا أضحى في أضحى، فهذا شيء لابنك لا يشركه فيه أحد (الجاحظ: (د. ت)، ص115).

فالجاحظ بحواره هذا استطاع تصوير جانب من حياة الآخر في صورة البخيل، وما أوردناه كان على سبيل المثال لا الحصر، ولنا في تناصح أهل خراسان بعضهم بعضاً في البخل باستخدام (فتيل المسرجة) صورة واضحة عن بخلاء الفرس ومعاشهم والعبور إلى نفسياتهم من خلال الحوار الذي أجراه بينهم (الجاحظ: (د. ت)، ص20 وما بعدها).

وهو في قصصه لا يغادر الفكاهة والنادرة، فأنت " في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مَلِلت الجد" (الجاحظ: (د. ت)، ص5) غير أنَّ القراءة المتأنية تبين أنّ "غاية الكتاب تتعدى الضحك والمرح، لتغدو أعمق وأشد، فإذا هي أقرب إلى الردع والتأنيب، والهزء والسخرية، وذلك من أجل المنفعة العامة والاستفادة من أعمال البخلاء" (الجاحظ: 1985، ص 11) المشينة، فكان يترصد كل ما يقع عليه بصره في واقعه فيحيله إلى أداة للردع والسخرية.

الخاتمة.

صور الجاحظ في كتابه (البخلاء) أمة تعيش في أمة شاع فيها البخل، وعمدت إلى تحسين صورته والاحتجاج له- تحايلًا- من القرآن والأقوال المأثورة، وتوظيف المواقف والأحداث لجعل البخل اقتصادًا والكرم إسرافًا، ولكن الجاحظ تمكن من تعريتهم، وأبرز البخل بوصفه صفة ذميمة؛ فبدهائه ومنطقه، جسد سمات البخل والبخلاء المشينة المخزية، المنافية لخلق الأنا من خلال قصص واقعية اجتلبها من عصره وبيئته.

فالجاحظ من خلال سردياته الواقعية:

- صور أحوال البخلاء ونزعاتهم النفسية، وقد اتسم تصويره بالمصداقية والواقعية والمنطق.
- أبرز- بفنيته المعهودة- الجوانب الفكرية لمعتقدات الآخر في ظاهرة البخل.
- بين منهجية البخيل في البخل وإيمانه المترسخ في نفسيته المضطربة.
- صور الآخر متمسكًا بثقافته من خلال الحوار الذي أجراه في قصة أبي سعيد المدائني والثقفي.
- استحضر عمق تجذر ظاهرة البخل في صورة الآخر الفارسي التي تحاول التأثير في الأنا (المجتمع العباسي) وذلك بطريقة فنية لا تبرز نزعة عنصرية لديه.

وأخيرًا يرى الباحث أنّ الجاحظ لم يصور مدى تأثير أخلاقيات هؤلاء البخلاء من الفرس في العرب، بل أظهر الجاحظ العربيَ عزيزًا عفيف النفس كريمًا، وذلك كما جاء في قصة المدائني، وقصة العراقي مع المروزي، متأثرًا بنزعته الفطرية التي جُبل عليها، ولكن هذه النزعة الفطرية لدى الجاحظ لم توجّه كتاباته، بل كانت الشخصية المثقفة والعقلية المعتزلية هي المسيطرة عند سرده، فلم تكن مصادره أهواء العصبية العربية، بل أحاديث واقعية التمسها من مجتمع عاشه وشخصيات عاصرها وعاشرها، غير مصطنعة ولا مجتلبة ولا متكلّفة.

المصادر والمراجع.

1- ابن منظور، جمال الدين (1996). لسان العرب. اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي. (ط1). بيروت. دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي.

2- البخاري، محمد بن إسماعيل(1422هـ). صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، (ط1). دار طوق النجاة. (مصورة عن الطبعة السلطانية).

3- بركات، محمد (1999م). دراسات في الأدب. (ط1). عمَّان: دار وائل.

4- الجاحظ، أبو عثمان عمرو (د. ت). البخلاء. تحقيق: طه الحاجري. (ط5). القاهرة: دار المعارف.

5- الجاحظ، أبو عثمان عمرو (1985م). البخلاء. تحقيق: د. عباس عبد الستار. (ط2). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

6- الحربي، صالح بن عويد(1441هـ). دراسات صورة الآخر في الأدب العربي وأثر إدوارد سعيد، دراسة مقارنة. مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية. السنة السابعة. العدد 20.

7- حسين، طه (2017م). من حديث الشعر والنثر. (ط13). القاهرة. دار المعارف.

8- حمود، ماجدة (2012م). صورة الفرس في كتاب "البخلاء" للجاحظ. منتديات ستار تايمز. 14 مايو، www. startimes. com.

9- شكري، مسعود (2017م). صورة الآخر الإسرائيلي في رواية "المتشائل" لإميل حبيبي. مجلة إضاءات نقدية. السنة السابعة. العدد 26.

10- ضيف، شوقي (د. ت). تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني. (ط2). القاهرة: دار المعارف.

11- ضيف، شوقي (د. ت). الفن ومذاهبه في النثر العربي. ط10. القاهرة، دار المعارف.

12- المتنبي، أبو الطيب أحمد (1400هـ، 1980م). ديوان المتنبي. تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

13- هلال، محمد غنيمي (1983م). الأدب المقارن. (ط3). بيروت: دار العودة.

14- هلال، محمد غنيمي (د. ت). في النقد التطبيقي والمقارن. (د. ط). القاهرة. دار نهضة مصر.

15- يوسف، سامي (2011م – 1432هـ). الأدب العباسي، *النثر*. (ط1). عمّان: دار المسيرة.

Second: Sources and references translated into English.

1- Ibn Manzoor, Jamal Al-Din (1996). Arabes Tong. It was corrected by: Amin Muhammad Abd al-Wahhab and Muhammad al-Sadiq al-Ubaidi. (f1). Beirut. Arab Heritage Revival House and the Arab History Foundation.

2- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (1422 AH). Sahih Bukhari. Investigation: Muhammad Zuhair Nasser Al-Nasser, (1 edition). Lifebuoy House. (Illustrated for The Bowl Edition).

3- Barakat, Muhammad (1999 AD). Studies in literature. (f1). Amman: Wael House.

4- Al-Jahiz, Abu Othman Amr (Dr. T). Misers. Investigation: Taha Al-Hajri. (5th f). Cairo: Dar al-Maarif.

5- Al-Jahiz, Abu Othman Amr (1985 AD). Misers. Investigation: Dr. Abbas Abdel Sattar. (2nd f). Beirut: Al-Hilal House and Library.

6- Al-Harbi, Saleh bin Awaid (1441 AH). Studies of the image of the other in Arabic literature and the impact of Edward Said, a comparative study. Taibah University Journal of Arts and Humanities. Seventh year. Issue 20.

7- Hussein, Taha (2017 AD). Speaking of poetry and prose. (13th edition). Cairo. Knowledge House.

8- Hammoud, Magda (2012 AD). The picture of the mare in the book "The Misers" by Al-Jahiz. Star Times Forums. May 14, www. Start times. com.

9- Shukri, Masoud (2017 AD). The image of the Israeli other in the novel "The Pessimist" by Emile Habibi. Critical Illuminations Magazine. Seventh year. Issue 26.

10- Deif, Shawqi (Dr. T). History of Arabic literature, the second Abbasid era. (2nd f). Cairo: Dar al-Maarif.

11- Deif, Shawqi (Dr. T). Art and its doctrines in Arabic prose. 10th edition. Cairo, Dar al-Maarif.

12- Al-Mutanabi, Abu Al-Tayyib Ahmed (1400 AH, 1980 AD). Al-Mutanabbi's Diwan. Investigation: Abdul Rahman Al-Barqouqi. (D.i). Beirut: Arab Book House.

13- Hilal, Muhammad Ghoneimi (1983 AD). Comparative literature. (3rd f). Beirut: Dar Al-Awda.

14- Hilal, Muhammad Ghoneimi (Dr. T). In Applied and Comparative Criticism. (D.i). Cairo. Dar Nahdet Misr.

15- Youssef, Sami (2011 AD - 1432 AH). Abbasid literature, prose. (f1). Amman: Al Masirah House.